المصطفى فحق لهم «أن يأتيهم التابوت» و«فيه ألواح موسى التي تكسرت...»[١].

فلقد شردهم أعداءهم من الأرض المقدسة - التي غلبوا عليها على يد نبيهم يوشع بعد فترة التيه ووفاة موسى عليه السلام - وسلبوا منهم مقدساتهم الممثلة في التابوت، الذي يحفظون فيه مخلفات أنبياءهم من آل موسى وهارون، فأصبح إتيان التابوت الغائب عنهم في تلك الفترة آية على ملك طالوت.

فهذه آية أولى، ومن ثم ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إما لسابق الرحمة به حيث حمل فيه موسى، وجعلت فيه التوراة؟ أم لسابغ الرحمة الجديدة بعد سابقتيها أن جعل الله فيه السكينة الربانية، فالنظر إليه سكينة، وتقدمه في حرب الأعداء سكينة؟ أم فيه ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ جامعه لهما، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ وهي بقية توراتية أماهية من ميراث النبوة السامية، و«العلم والحكمة»[٢] فإن الأنبياء لا يورثون للعلماء والمؤمنين إلّا علماً وحكمة.

وآية ثالثة ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فإنه يأتي دونما حامل تبصرون، فكأنه هو الذي يأتيكم بلا حامل، ولكن ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إليكم، و﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ العظيم العظيم من مثلث الآية في التابوت ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ﴾ بارعة قارعة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بآيات الله البينات.

ولقد عبّر عن مثلث الآيات بـ«آية» لوحدة الدلالة والاتجاه، كما ﴿وَجَعَلْنَا

(١) نور الثقلين عن العباس بن هلال قال: سأل علي بن أسباط أبا الحسن الرضا عليه السلام فقال: أي شيء التابوت الذي كان في بني إسرائيل؟ قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسرت والطشت التي تغسل فيها قلوب الأنبياء.

(٢) نور الثقلين ١: ٢٤٦ عن العياشي عن حريز عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال: رضاض الألواح فيها العلم والحكمة العلم الذي جاء من السماء فكتب في الألواح في التابوت.

﴿ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ ولقد جمعت هذه الآيات الثلاث إلى البراهين الأربعة السالفة فاكتملت سبعة علّها تسكّر عليهم أبواب الجحيم السبع من نكراناتهم، ثم زيدت عليها آية ابتلائهم بنهر، وهذه ثمانية عدد أبواب الجنة الثمان، علّهم يدخلونها بكل طمأنة ورضوان، منتصرين في هذه المعركة الضارية الصاخبة كما «وهزموهم بإذن الله».

إن ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ هنا و«السكينة» في سائر القرآن هي اطمئنان القلب زيادة على طمأنة الإيمان، فهي من خلفيّات ولاية الله على المؤمنين: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[١] كما السكينة لا تنزل إلا على المؤمنين في المخاوف الشديدة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنَا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢].

وهذه السكينة الإيمانية هي روح من الله[٣]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[٤] روح ثان بعد الإيمان طليقاً حيث يشمل إيمان العصمة القمة، فهي فيه من سياجات العصمة: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا...﴾[٥] وفي سائر درجات الإيمان سياج عليها كلّاً على حده[٦] ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٣) المصدر عن المصدر عن يونس عن أبي الحسن الثالث قال: سألته فقلت جعلت فداك ما كان تابوت موسى وكم كانت سعته؟ قال: ثلاث أذرع في ذراعين، قلت: ما كان فيه؟ قال: عصا موسى والسكينة، قلت: وما السكينة؟ قال: روح الله يتكلم كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٦) بحار الأنوار ١٣: ٤٤٣ عن أبي جعفر عليه السلام قال: السكينة الإيمان (معاني الأخبار ٨٢).
(٧) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

وهي النور الذي تمشون به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[1].

فإنما ظرف السكينةِ النورِ هو الإيمان والتقوى، فلا تنزل على غير المؤمنين المتقين كما لم تنزل على صاحب الرسول ﷺ ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا...﴾[2] وعلّه كان حينذاك ممن أسلم ولمّا يدخل الإيمان في قلبه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾.

فقد جعل الله في هذا التابوت سكينة لمن رآه من المؤمنين، واحتف حوله وقدمه في النضال، بما فيه التوراة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، وكما النظر إلى الكعبة المباركة سكينة وطمأنينة إيمانية.

وهنا «آل موسى وآل هارون» علّهم موسى وهارون وخاصتهما، فإن في خروجهما هنا عن آلهما انتقاص لسكينة التابوت وبركته، لا سيما وإن التوراة هي بقية النبوة الإسرائيلية التي موسى هو رأس الزاوية فيها، أم هم آلهما[3] فإن التوراة هي مما تركاه وفيها الكفاية عن سواها.

وقد تعم السكينة هنا - إضافة إلى حالة التابوت الخارقة للعادة، وإلى التوراة الموجودة فيه - البشارات المكتوبة فيه أن الله ينصر طالوت بجنوده.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٣) نور الثقلين ١: ٣٤٦ عن العياشي عن أبي الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] فقال: ذرية الأنبياء.

فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ عن سائر الشعب، وهم بطبيعة الحال من المختارين للجهاد الذي تهمه العدد الروحية وبالأسلحة الكافية، لا - فقط - العَدد أياً كانوا، وقد يروى «أن طالوت قال لقومه: لا ينبغي أن يخرج معي رجل يبني بناءً لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفاً»[١] ولكن الكثير منهم - وهم نخبة - سقطوا في ابتلائهم بنهر وبقي القليل المحدد بعدد أصحاب بدر[٢]. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ. . . قَالَ﴾ والقائل بطبيعة الحال هو طالوت قائد الجند، مهما كان قوله من قول نبيهم إذ لم يكن هو بنفسه نبياً.

والابتلاء هنا ذو بعدين مرضيين في تجنيد الجنود، ابتلاءً بتعود الصبر على الشدائد ومن أشدها العطش حالة الحرب، وهي تتطلب استعداداً بدنياً كما هو روحيّاً.

ومن ثم ابتلاءً بمدى اتباعهم لأمر القائد بما أمر الله، فلا خير فيمن لا

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٦: ١٧٩ روي أن طالوت. . .

(٢) الدر المنثور ١: ٣١٨ - أخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي وكان الصحابة يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وفيه أخرج ابن أبي شيبة عن أبي موسى قال: كان عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وبضعة عشر.
وفيه تفسير الفخر الرازي ٦: ١٨٢ - إن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلّا مؤمن».

يتصبر على الشدائد، ولا يُصغي إلى أمر القائد، وانفصاله خير من اتصاله، وفصله قبل العراك خير منه بعده، حيث الفصل الأخير هزيمة للجنود عن بكرتهم.

هنا تتجلى الحكمة الربانية في اختيار طالوت عليهم ملكاً كقائد الجنود، مقدماً على معركة صاخبة ومعه جيش من أمة مغلوبة قد عرفت الهزيمة في تاريخها المرير مرة بعد أخرى، وهي الآن تواجه جيش أمة غالبة سحقته قبل ردح في قتال ضارية.

إذاً فلا بدّ من استعداد وقوة كاملة كامنة في ضمير هذا الجيش، بإرادة تضبط الشهوات والنزوات، وتنضبط بقيادتها الصالحة الربانية لكي تجتاز الابتلاء قاهرة غالبة على من تغلبها، لذلك يبلوهم ذلك القائد الرصين الأمين بالعطاش ليعلم من يتصبَّر معه ممن ينقلب على عقبيه، ولقد اقتسموا في ذلك الابتلاء إلى ثلاثة أقسام: فمن شرب منه فليس مني كيفما كان شربه فإنه مخرَج ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ و﴿لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ لا تعني - فقط - من لم يشرب منه، فقد لا يشرب ولكنه يطعم، وهو عوان بين «فليس مني - وـ فإنه مني» برزخاً بين الأمرين، لا هو مخرج ولا هو في صميم الجيش.

ثم الاستثناء ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ يسمح الاغتراف لمن لم يطعمه، ولا يعني الشرب بالاغتراف، إنما هو - فقط - اغتراف دون شرب منه ولا طعم، فهم - إذاً - أربعة أقسام:

من شرب منه - من طعم منه - من لم يطعم واغترف - من لم يطعم ولم يغترف.

﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ إذاً فليسوا من القائد، ولينفصلوا عن الجيش الزاحف فإنهم بذور ضعف وخذلان، وهزيمة في الميدان، إذ ليست

الغلبة بضخامة العدد، فإنها وخامة إن لم يصلح العدد، إنما هي بالقلب الصامد مهما قلّوا وكثر العدو.

فهذه أولى الغربلات في الجيش بعد فصله عن القوم، وغربلة ثانية في الذين طعموا منه دون شرب، وثالثة، الذين لم يطعموا واغترفوا غرفة، وبقيت القلة القليلة بمن سوى الأولين المخرجين، وهم كل من لم يشربوا منه، وهم كلهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ مهما اختلفت درجاتهم الثلاث:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وهم - بطبيعة الحال - الذين طعموا منه دون شرب، ثم:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ...﴾ وهم - بالطبع - الذين لم يطعموه، مغترفاً بيده، وبأحرى من لم يغترف حيث لم يقترب النهر لاغتراف فضلاً عن سواه[1].

﴿قَالَ... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أولئك هم الخاشعون المستعينون بالصبر والصلاة، الظانون في قلوبهم، القاطعون بعقولهم أنهم ملاقوا الله: هنا معرفياً وزلفىً، وهناك في الأخرى معرفة وزلفى هي الأخرى والأحرى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

---

(١) نور الثقلين ١: ٢٤٨ في تفسير القمي روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما جاوزوا النهر نظروا إلى جنود جالوت قال الذين شربوا منه ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال الذين لم يشربوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا...﴾ [البقرة: ٢٥٠].
وفيه عن تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ...﴾ [البقرة: ٢٤٩] فشربوا منه إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب فلما برزوا قال الذين اغترفوا ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا...﴾ قال الذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ...﴾ [البقرة: ٢٤٩].

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

فهنا الاستعداد الاستمداد من واقع الإيمان والإيقان، متخطياً كل الموازين والقيم الظاهرية التي يستمد سائر الناس من واقع حالهم العادية، حيث الإيمان ميزان جديد حديد شديد يتغلب على سائر الموازين والقيم المتغلبة في حسابات الناس.

أجل! وانها قاعدة رصينة في حقل الإيمان الأمين، للذين يظنون أنهم ملاقوا الله.

وكما نرى هذه الفئة القليلة العدد، الكثيرة العُدَد، قررت مصير هذه المعركة الصاخبة الضارية، حين ارتبطت برباط الإيمان بالله، والاطمئنان بنصر الله، تصبراً في النضال في سبيل الله وتطلباً - مع ذلك كله - إفراغ الصبر عليها من الله:

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾:

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟﴾ - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ في ميدان النضال بحرب عضال، وأحسوا عِدتهم وعُدتهم الكثيرة الكثيرة، أمام أنفسهم القليلة اليسيرة «قالوا» بكل كيانهم وإمكانهم قول القال والحال والفعال: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ يكافح ما أفرغ علينا عدواناً وسِبراً، صبراً باستقامة دون فرار، بكل ثبات وقرار، صبراً تتكسر عنده كافة الصعوبات في ذلك النضال العضال، فيضاً منك يغمرنا ويعمرنا بانسباك سكينة وطمأنينة، احتمالاً لكل الأهوال والمشقات على أية حال.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في كل إقدام، أقَدامنا في قلوبنا قبل قوالبنا سياجاً عن الانهزام والتفلّت من الميدان، أو أي تلفّت ومَيدَان، فلا تزل أقدامنا، ولا يضل إقدامنا، فنظل مرتكسين تحت الوطأة الحمأة اللعينة، وبالنتيجة:

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ نصرة الإيمان على اللاإيمان، فقد بعثت

لنا ملكاً قائداً، وابتليتنا بنهر فجزنا بلاءك ناجحين، فجز بنا هذه الحرب منتصرين، فإنا منك وإليك وفي قبضتك يا أرحم الراحمين.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾:

هزيمة عظيمة قليلة النظير لهؤلاء الكفار كما كانت لقريش في بدر من البشير النذير، والعَدد نفس العَدد، والعُدد نفس العُدد، فقد ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[1] ولم يكن يخلد بخلد أحد أن هذا الشاب القصير الصغير يقتل

(١) البحار ١٣: ٤٥١ عن تفسير العياشي عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان داود وإخوة له أربعة ومعهم أبوهم شيخ كبير وتخلف داود عليه السلام في غنم لأبيه ففصل طالوت بالجنود فدعا أبو داود داود وهو أصغرهم فقال: يا بني اذهب إلى إخوتك بهذا الذي قد صنعناه لهم يتقوون به على عدوهم وكان رجلاً قصيراً أزرق قليل الشعر طاهر القلب فخرج وقد تقارب القوم بعضهم من بعض.
وفيه عن أبي بصير قال سمعته يقول: فمرّ داود على الحجر فقال الحجر يا داود خذني فأقتل بي جالوت فإني إنما خلقت لقتله فأخذه فوضعه في مخلاته التي تكون فيه حجارته التي كان يرمي بها عن غنمه بمقذافه، فلما دخل العسكر سمعهم يتعظمون أمر جالوت فقال لهم داود: ما تعظمون من امرأة فوالله لئن عاينته لأقتلنه فتحدثوا بخبره حتى أدخل على طالوت فقال: يا فتى! وما عندك من القوة؟ وما جربت على نفسك؟ قال: كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأدركه فأخذ برأسه فأفك لحيته عنها فأخذها من فيه، قال فقال: ادع لي بدرع سابغة، قال: فأتي بدرع فقذفها في عنقه فتملأ منها حتى راع طالوت ومن حضره من بني إسرائيل فقال طالوت: والله لعسى الله أن يقتله به، فلما أن أصبحوا ورجعوا إلى طالوت والتقى الناس قال داود عليه السلام أروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فجعله في مقذافه فصك بين عينيه فدمغه ونكس عن دابته وقال الناس: قتل داود جالوت، وملكه الناس حتى لم يكن يسمع لطالوت ذكر واجتمعت بنو إسرائيل على داود وأنزل الله عليه الزبور وعلّمه صنعة الحديد فلينه له وأمر الجبال والطير يسبحن معه قال: ولم يعط أحد مثل صوته، فأقام داود في بني إسرائيل مستخفياً وأعطي قوة في عبادته.
وفي الدر المنثور ١: ٣٢٠ - أخرج ابن جرير وابن عدي عن ابن عمر قال قال رسول =

جالوت الكبير الكبير، وكما قتل الإمام علي عليه السلام عمرواً في الأحزاب، فاعتبروا يا أولي الألباب.

وهنا حكمة حكيمة ثانية في تغلب داود على جالوت هي أن قدر الله أن يتسلم هو الملك بعد طالوت فيكون عهداً ذهبياً لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل الطويل، جزاءَ انتفاضة العقيدة في هذه المرة اليتيمة في نفوسهم بعد ضلال طويل وانتكاس وبيل.

ولقد جمعت فيه القيادتان، الزمنية والدينية، بعد ما كانتا مفترقتين عن بعض، وورثه سليمان فيهما وبصورة أقوى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ يشاءه هو ويشاء الله كما يصلح ويكفي للقيادتين.

وهكذا يدفع ناس بعضهم ببعض بحكم التشريع والتكوين، أن يدفع النسناس بالناس بفضل إلّه الناس على العالمين، دفعاً عن فساد قاحل في أرض الحياة الإنسانية، ولسوف يدفع الله بالمهدي عليه السلام وأصحابه كل فساد في الأرض فتصبح كما الجنة كما وعد الله.

ومن دفع الله الناس بعضهم ببعض الدفع عن المسيء بالمحسن حفاظاً عن عاجل العذاب، فالمؤمن مدفوع به عن سواه بدفاع وبذاتية الإيمان وكلاهما مرتكنان على الإيمان.

وقد يروى عن رسول الهدى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»[1] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا عباد ركّع وصبيان

= الله صلى الله عليه وآله وسلم: . . . ثم قرأ ابن عمر الآية وفيه أخرج ابن جرير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم»، فيه أخرج ابن جرير عن أبي مسلم سمعت علياً عليه السلام يقول: لولا بقية من المسلمين فيكم لهلكتم.

(١) في نور الثقلين ١: ٢٥٣ في أصول الكافي متصلاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله ليدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن =

رَضَّع وبهائم رتَّع لصب عليكم العذاب صباً»[١] ذلكم المسلم، فبأحرى الأبدال وهم فطاحل المؤمنين الأفضال، وعلى حدّ المروي عن إمام الأبدال[٢].

= الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥١] فوالله، نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم.

أقول «كم» هنا هم كل الصالحين على طول خط الرسالات. المتمثل في تأويل الإمام عليه السلام بالشيعة الصالحة فإنهم أفضل مصاديقهم.

وفي الدر المنثور ١: ٣٢٠ - أخرج ابن جرير وابن عدي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: . . . ثم قرأ ابن عمر الآية وفيه أخرج ابن جرير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولده ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم»، وفيه أخرج ابن جرير عن أبي مسلم سمعت علياً عليه السلام يقول: لولا بقية من المسلمين فيكم لهلكتم.

(١) المصدر، أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

وفيه أخرج الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون»، فيه أخرج الخلال عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر فهم في الأرض كلها».

(٢) المصدر، أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

وفيه أخرج الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون»، فيه أخرج الخلال عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر فهم في الأرض كلها».

وفيه أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال أنهم لن=